الانتخابات الألمانية ومسيرة الصداقة مع مصر

دكتور مهندس نادر رياض

يبدو أن شهر سبتمبر ٢٠٠٥ قد أتى محملا بالعواصف الانتخابية حيث شاءت الصدف أن تجرى انتخابات الرئاسة فى مصر والانتخابات الحزبية فى ألمانيا والتى تؤهل للانتخاب على منصب المستشار فى ألمانيا فى وقت متزامن.

وبرغم اختلاف الغرض ونوعية المعركة الانتخابية وطبيعة الخلافات الحزبية فى كل من الدولتين الا أننى أجد تشابها فى بعض الجوانب.

فعلى صعيد المعركة الانتخابية فى مصر فان فتح الباب أمام الاختيار الحر من بين اكثر من مرشح حزبى - واحد عن كل حزب - ليحسم عن طريق الناخب بإرادة حرة ودون شبهة تدخل أو تأثير قد أحدث حالة من المفاجأة بين الأحزاب المختلفة التى لم تكن مستعدة لهذه الخطوة سواء بمرشحين لهم شعبية ترقى لمستوى أمام الرئيس مبارك أو ما لديهم من البرامج الحزبية الذين يستطيعون الدخول بها واكتساب أرضية عمل وطنى تصلح لكسب الأصوات، وهو الأمر الذى كانت نتيجته الحاسمة لصالح الرئيس مبارك والحزب الوطنى الديمقراطى.

أما على الصعيد الألمانى فإن التفاوت بين الحزبين اللدودين الكبيرين - الحزب الاشتراكى الديمقراطى ويرأسه شرودر والحزب المسيحى الديمقراطى وترأسه أنجيلا ميركل - بمقياس الشعبية الانتخابية لا يعتبر كبيرا بحيث جرى العرف أن تحسم المعركة الانتخابية بفعل أصوات غير منتمية لأى من الحزبين وذلك تحمسا لبرنامج أحدهما أكثر من الآخر حبذا فى الشئون المتعلقة بالضرائب والتعليم وتشغيل العاطلين وهى أمور محورية تسيطر على وجدان العقلية الألمانية. وقد انتهت الانتخابات الألمانية فى مرحلتها الحالية بفوز ضعيف لا يتعدى ٣٪ نسبة تفوق لصالح الحزب الذى ترأسه السيدة أنجيلا ميركل CDU/CSU على حزب SPD الذى يرأسه جيرهارد شرودر، الا أن هذا الفوز الضعيف لا يؤمن لأى من الحزبين نصرا أو هزيمة بمقياس التشكيل الحكومى ومن ثم اختيار شخصية المستشار الألمانى، إذ أن السياسة الألمانية درجت على اختيار نمط الائتلاف الحكومى بين أكثر من حزب اكتسابا لأغلبية برلمانية ناجمة عن هذا الائتلاف تؤمن له أغلبية برلمانية تساعده على تطبيق سياساتها أمام التجمع البرلمانى المعارض وهو ما حدث فى الدورتين الأخيرتين لحكم المستشار جيرهارد شرودر حيث شكل ائتلافا وزاريا جمع الحزب الديمقراطى المسيحى وهو ما يسمى بالحزب الأحمر وحزب الخضر والذى يتميز أيضا بلونه الأخضر.

وقد دارت مجموعة من السيناريوهات كنتيجة للانتخابات فى ضوء تقارب الحزبين الكبيرين بميزان القوى الانتخابية، فهناك رأى توقع أن يأتلف الحزبان الكبيران ليشكلا أغلبية برلمانية ساحقة، ومع تمسك كل من شرودر ومنافسته ميركل بمنصب المستشارية، طرح احتمال أن يتولى كل منهما منصب الاستشارية نصف المدة الا أن هذا التصور قد تم تنحيته جانبا لاختلاف البرنامج الحزبى لكل منهما عن الآخر مما يصعب معه عمل برنامج حزبى توفيقى يجمع بين الحزبين دون أن يؤدى ذلك الى سخط الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم فى ظل توجه مخالف.

وتدور الاتصالات الآن على قدم وساق لكل من الحزبين الكبيرين على حدة مع الأحزاب الأخرى الأقل حجما فى محاولة لتكوين أغلبية برلمانية تشكل ائتلافا حكوميا يتوافق مع برنامج أى من الحزبين مع الأحزاب التى يأتلف معها.

ومن الناحية الحسابية فإن الحزب الأحمر اذا تآلف مع حزب الخضر وضم اليه الحزب الألمانى الحر والذى تميز باللون الأصفر فإن هذا يشكل ائتلافا قويا تدعمه أغلبية برلمانية كافية لنجاح حزب شرودر والذى سيبقى مستشارا لفترة قادمة فى هذه الحالة، فإن هذه الحقيقة ليست بخافية عن الحزب المسيحى الديمقراطى حيث تسعى السيدة أنجيلا ميركل لاستقطاب حزب الصفر FDP وفى هذه الحالة ستحسم المعركة لصالحها وتصبح أول سيدة تتولى منصب المستشارة فى الحكومة الألمانية.

والجدير بالذكر أن الانتخابات الألمانية تمت فى جو يسوده الوعى السياسى العميق من جانب المواطن الألمانى، إذ تعدت نسبة من أدلوا بأصواتهم أكثر من ٧٠٪ من مجموع الناخبين مقارنة بنسبة ٥٠٪ للانتخابات السابقة، الأمر الذى يعد من أعلى النسب ليس فقط فى ألمانيا بل فى أوروبا على الاطلاق.

وإذا نحينا السياسة والانتخابات الألمانية جانبا والتى ينتظر لمعركتها أن تحسم فى غضون الأسابيع القادمة فإن العلاقات المصرية الراسخة القدم لا ينتظر لها أن تشهد أية أنواء تنل من رصيدها من الصداقة والاحترام المتبادل وكذا التعاون البناء فى مختلف المجالات فى ظل أية حكومة ألمانية جديدة.

وإذا تابعنا تاريخ هذه العلاقة منذ أن أصبحت ألمانيا دولة مستقلة لها ريادتها الاقتصادية، وعلى توالى صناع سياستها من مختلف المستشارين فإن تلك العلاقة دأبت على اكتساب القوة بصورة مطردة.

وليس أدل على هذا أننا فى خضم الانتخابات فإن المؤتمر الألمانى للتكنولوجيا يتم انعقاده بالقاهرة من ٢ الى ٤ أكتوبر ويفتتحه رئيس الوزراء ويشهده ١٥٠ رئيسا لشركات ألمانية وأكثر من ٣٥٠ من رجال الأعمال والصناعة ويتحدث فيه أربعة وزراء مصريين.

ومن المعروف مسبقا أن ألمانيا قد خصصت أكثر من مليار يورو لمصر تشارك فيه ألمانيا بالنصيب الأكبر يخصص لدعم مجالات تطوير الصناعة ودعم الجودة وتنشيط الصادرات المصرية وتأهيل الكوادر الصناعية ونقل التكنولوجيا والبحوث العلمية والتطبيقية المشتركة فى مجالات الزراعة والبيئة وكذا مجال الطاقة النظيفة والمتجددة من الرياح وأشعة الشمس وهى من مجالات صناعة المستقبل للدولة العصرية.

ورغم أننا نرى أن سفينة الصداقة المصرية الألمانية هى الأعرق والأكثر ثباتا عبر العصور فى بحر العلاقات المصرية الألمانية، إلا أننا على ثقة أن لهذه السفينة ما يرسخها ويشد من أزرها رغم ما يكتنف بحر العلاقات الدولية من أنواء وتشابكات، فإن هذه السفينة ستبقى آمنة بفضل الرعاية الجيدة التى تكفلها لها كل من مصر وألمانيا بنفس القدر من الحرص والفهم والقدرة على استقراء الأحداث.

كاتب المقال رجل صناعة رئيس مجلس الأعمال المصرى الألمانى نائب رئيس مجلس إدارة الغرفة الألمانية العربية للصناعة والتجارة

جريدة الأهرام ٢٠٠٥/١٠/٣